مجنون ليلى



الدكتورة عاتكة الخزرجي

الى الاستاذ الفاضل الاديب
السيد ابراهيم الخفير مع اصدق
التقدير
من المخلصة
[illegible]
بغداد في ١١ آذار ١٩٦٩

مجنون ليلى

مجنون ليلى

مسرحية شعرية ذات خمسة فصول



العناوين بخط الأستاذ سيد ابراهيم

- اللوحات بريشة الفنان جمال كامل

إهداء

لكل من يهوى حياة البيد أو يهوى العرب

لكل من يهوى النخيل والخيام والحلب

لكل من صيره الحب دخانا في لهب

أرفعها لكل ذي "ليلى" وإن كانت "خشب"

أو لكل مجنون بحلو أو بشعر أو أدب

زمن الرواية : صدر الدولة الأموية

مكانها : بادية نجد

أشخاص الرواية :

ليلى

قيس

رقية : أم ليلى

المهدى : أبو ليلى

ورد : زوج ليلى - من ثقيف

الملوح : أبو قيس

سمراء : أم قيس

زياد : راوية قيس وصديقه

منازل : فتى عامرى

دعد ، هند ، زينب ، أسماء ، سلمى : صواحب ليلى

الفصل الأول

المشهد الأول

أبيات صغيرة بينها فتيات من عامر . دعد وهند وزينب وليلى وأسماء في زيارة صاحبتهن سلمى يتحدثن :

هند : سئمتُ حياةً كم تكدَّر صفوُها !

فوالله لم يعذبْ لواردِها وِردُ

وأعجبُ شيء أنْ جننتمْ بحبِّها

وأولى بها الهجْرُ المبرِّحُ والصدُّ

فإنْ أوعدتْكُمْ أنجزتْكُمْ وعيدَها

وَإنْ وعدتْ فالوعدُ يتبعهُ الوعْدُ

دعد : لقد أنكرت هندُ الحياةَ ولم أكن

لأحسبَ أنَّ الشمسَ تُنكرها هندُ

فها نحن فى عزِّ الشباب وظلِّه

نميس ومن أردائنا يعبق الوَرْدُ

وليس لنا من شاغل غير مغزَل

وغير لسانٍ ليْسَ من شأنه الجِدُّ!

ليلى : ألا فانسيا أمر الحيَاة فإنها

لَلُغزٌ وبابٌ كلٌّ عن فتحه الجهدُ

ضللنا فما ندرى أنحْنُ بغمرة

من البؤس أم بؤْس الشباب هو السّعْدُ

« يُسمع وقع أقدام قريبة »

زينب : « إلى ليلى ثم إلى أسماء »

ألا أنصتى يا ليل : أسماءُ خبِّرى

أسماء : كريمٌ أتى ضيفاً فتمَّ به العِقْدُ

« يقترب الزائر فاذا به قيس بن الملوح فتعرفه سلمى وترحب به »

سلمى : ألا مرحباً بالضيف قَيسُ بن عامر

وسيدُ فتيان الحمى الماجدُ الفردُ

قيس : نزلتُ بكم ضيفاً فأصبحتُ سيداً

وما أنا إلّا فى مودتكم عَبْدُ

خرجت أريد الصيد فاصطدتُ ظبيةً

لها صارمٌ فى اللّحْظِ يُعوزه الحَدُّ !

فأردفتها خلفى وقلتُ لناقتى

إلى بيت سلمى حَيْثُ يصفو لنا الْوِرْدُ

« إلى خادمه سعد » :

فيا سعد هات الصّيْدَ وانحره هاهنا

على مشهدٍ منا وبَارِكْ لنا سَعْدُ

وأسْعِرْ لنا ناراً وأحسنْ شواءه

ليؤكل منه اللحم والعظم والجِلْدُ !

« ضحك من الجميع ، يشوى سعد الظبية » .

قيس : « ناظراً إلى الظبية تشوى »

ألا إنها نار الجحيم ومُلْحِدٌ
قضى الله أنْ يُشْوَى ولم يَطْوِه اللَّحْدُ
فيا وَيحها من ظبية شاء نحسُها
بأنْ تغتدى أُكلاً تَلَذُّ به هِنْدُ !

هند : « ضاحكة »

ولِمْ قلتَ «هندٌ» لم تَقُلْ «دعدُ» إنها
لَمَغْرَمةٌ « بالأكل» ما هزّها الوَجْدُ !

دعد : « غضبى »

كفى هِنْدُ هُزْءاً إنما أنت غَرَّةٌ
ويا حبذا لو كانَ يُسعِفُكِ الرُّشْدُ !

سلمى « تحاول أن تغير الحديث فتلتفت إلى ليلى فتلفيها مطرقة صامتة »

حنانيكِ ليلى ! ما لرأسك مُطْرَقاً

وما للأُمور المتعبات به تَعْدُو ؟

وهل بعد هذا اللهو يا ليلَ آخر ؟

ليلى : « تنتبه وكأنها تفيق من إغماءة »

وَحَقِّكِ هذا اللهو ليس له نِدٌّ

ولكنني أطرقتُ خِيفَةَ مُرِّه

سريعاً وصفو الدهر ليس لَه عَوْدُ !

« ينتهي سعد من شي الظبية فيدعو الجمع قائلا »

سعد : هَلُمِّي يا حسَانَ الحَيّ حانَتْ ساعَةُ الأكلِ

فَهــذَا اللَّحْمُ مَشْوِياً شَهِيُّ الطَّعْمِ والشَّكْلِ

وَهَذَا التَّمْرُ قَدْ طَابَ فأنسانَا جنَى النَّحْلِ

وَهَـذَا اللَّبَنُ العَـذْبُ وَهَذَا الحَلَبُ المَغْلِي

هَلُمِّي وكُلِي ما شِئْتِ حَانَتْ ساعَةُ الأكلِ !

« يتهافت الجمع على الطعام »

زينب : ألا بورك فى الصَّيْدِ

أسماء : ويا بورك فى سَعْدِ

ليلى : « مشيرة الى قيس »

وفى ذا الأَسَـدِ الوَرْدِ !

« ضحك من الجميع »

« يسمع وقع أقدام يتبين منها منازل ، تحتفى به الفتيات تاركات قيساً »

منازل : نُعِمْتُنَّ صُبحاً يا فواتن عامرٍ

وزِنْتُنَّ فينا كُلَّ نادٍ وسامرِ

سلمى : نزلتَ بنا سهلاً وشرَّفْتَ دارَنا

فرحَّبتِ الدُّنْيا بأكرم زائرِ

وكُنْتَ لنا تاجاً يَزِينُ جباهنا

وفخراً به يعتَدُّ كُلُّ مُفَاخِرِ

قيس : « ينصل مغضباً »

أيعرضن عنى أن رأين منازلا
ويُنكرن منه دونى فذلك قاتلى !

عقرتُ لهن الصيدَ لم أدرِ أننى
سأعقر لكن فى سبيل منازلِ .. !

ولو كان ندى ما أسيتُ ولم يكن
ليذهب بعضَ الغيظ قرعُ الأنامل!

ستار

المشهد الثاني

« الوقت فجـــر وقيس مقبل من بعيد قاصـــداً خيام ليلى »

قيس : رعى الله عيشاً فيه سِحْرٌ وفتنة

كساهُ الصِّبا ثوباً رقيقاً مُنَمْنَما

جهلنا به كُنْهَ الهموم ولم نكن

لنعرف إلّا أَنْ نعيشَ وننعَما

هي البيدُ مهدُ الشِّعْرِ والسِّحْرِ والهوى

ويا ما ألذَّ العيشَ إنْ بتَّ مُغْرَما !

ففي الحبِّ دُنيا من نعيمٍ وشقوة

فطوْراً ترى خُلْداً وطوراً جهنَّما !

« يقترب فيلقى ليلى قاعدة بفناء بيتها ومعهـا صاحبتها سلمى وأخريات يتحدثن » .

قيس : سلاماً ظباءَ الحيِّ

الفتيات : ياقيسُ دَارِنا

قليلاً وحدِّثْ مَنْ غدتْ بك تُشْغَلُ

قيس : « فى لهفة »

أحقاً ومَنْ ؟

الفتيات : لَيلى !

قيس : « بحماس » رعى اللهُ قلْبها !

فقد سلبتْ لُبِّي فما عدتُ أعقلُ

جرى حُبُّها حتى تغلغل فى دمى

فَكُلِّى وبعضى فى هواها مُوَكَّلُ

« ليـــلى معرضة »

قيس : ومالكِ ليلى تُعرضين مُصيخةً

لغيرى؟ أيُغْريكِ الهوى والتدلُّلُ ؟

حنانيك بعضَ الدَّلِّ يا ليل واقبلى

علىَّ فإنى فى هواكِ مُكَبَّل

أُحِسُّ إذا حدَّثْتِ غيْرى كأنما

بقلبى نيرانٌ غدت فيه تأكلُ

فقلبىَ فى نارين : نارُ هواكُمُ

وَنارُ جفاكُمْ وهى أنكى وأعْضَلُ

ليلى : كفى غَيْرةً يا قيسُ كدتَ تغرُّنا

بدعواكَ !

قيس : « مندفعاً » ليلى ! إنَّ صَمْتَكِ أجملُ

ظننتِ بنا سوءاً وأنكرتِ حُبَّنا !

فيا من رأى مثْلى يجدُّ وتهزلُ !

ليلى : « إلى نفسها »

كلانا له قلبٌ يكنُّ به الهوى

وَيُبدى أمامَ الناسِ مُصْطَنَعَ البُغْضِ

وفى العين منّا صفحةٌ من فؤادنا

تُحدّث عن بعضٍ وتُومى إلى بعضِ!

« يخر قيس صريعاً فتهتف ليلى » :

حنانيكِ سلمى خرَّ قيس إلى الثرى!

سلوى: « فزعة » وماذا به ؟

ليلى : داءٌ تمكن فى القَلْبِ

هو الحبُّ يا سلمى عدمنا دواءه

وإلاَّ فمَنْ يُرقيه منسَوْرة الحبِّ ؟

« تذهب سلمى وتعود بكأس ماء تناوله إلى ليلى »

سلمى : أيا لَيْلَ هاكِ الماء رشّى به الفتى

« ترش ليلى الماء على وجهه »

ليلى : فداؤكَ ليلى من غَواشٍ ومنْ كَرْبِ

أيا ربِّ ما للوجه أصْفَرَ شاحباً ؟

وما للعيون النُّجْلِ مطبقَةَ الهدب ؟

حنانيكَ مالى طاقةٌ أن أرى الذى

أحبُّ صريعاً قد تَعَفَّرَ بالتُّربِ !

وهل كان ذنبى أن هويتُ فتاةً

وليس الهوى العذرىُّ عندىَ بالذَّنْبِ

فإنْ شئْتَ تعذيبى فإنىَ عبدة

وَأَنْتَ رءوفٌ بالعبادِ أيا ربِّ !

يستار

الفصل الثانى

« المنظر ليل : قيس يقبل من بعيد متغنياً بشعره ، وهو يقترب من خيام بنى عامر » .

قيس : وما كان إلا نظرةٌ وَجوابها

فعلَّقتُهـــا إذ علَّقتْها حباليـا

تبـدَّتْ علينـا والظـلام يحفُّنـا

فخلنا كأنَّ الصُّبح قد عاد ثانيا

تجـرر أذيالاً من الوشى خلفهـا

وتخطرُ فى دَلٍّ يُغـــير الغوانيا

وما خطَرَتْ إلّا على القلب إنَّها

يَلَذُّ لها وقعُ الخُطى فى فؤاديا

وأسكرنى منها عبيرٌ لأجلهِ
سلوتُ الأقاحى بل سلوت الفواغيا

وسددتُ سَهْمى كى أصدَّ سهامَها
فما راعها إلا ووقعُ سهاميا

كِلانا غدا نهباً لسَهْم أصابَهُ
فيا مَنْ رأى المَرْمىَّ يُصْبحُ راميا !

زياد : « راويته يفاجئه على حين غرة ، وقد سمع شعره »

إذن كنتَ صيداً ثم أصبحتَ صائداً
وكنتَ طليقاً فانثنيْتَ مُكَبَّلا

وأىُّ ظباءِ الحىِّ ياقيسُ هذهِ . . ؟

قيس : « يثوب الى نفسه »

ومَنْ أنتَ يامنْ قد سألت تَطَفُّلا ؟

زياد : « يعبث »

صديق : أراه اللهُ قلبَ صديقه

وقد شُكَّ فيه السهمُ حتى تغلغلا

ولم يَدْرِ منْ هذا المُغير لِحقّه

أيا قيسُ بَعْدَ الجهل أن يتطفّلا

قيس : زيادُ كَفَى هَزْلاً وخلِّ مُعَذَّباً

تَعَشَّقَ لحظاً بالفتون مُكَحَّلا

كأنَّ به سِحْراً دعانيَ للهوى

فكنْتُ به هذا المُعَنَّى الموكَّلا

ولو رُشق «التوباد» في سَهْمِ لحظه

لَخَرَّ صريعاً للتُّرابِ مُجَنْدلا.

زياد : ومالَكَ قيسٌ لاتُسَمِّي.. أغَيْرَةً؟!

قيس : حنانيكَ دَعْني لستُ بعدُ لأُسألا

زياد : أتخفرُ عهدَ الودِّ يا قيس ؟ !

قيس : فاسمها

من الليل إذ أرخت على الظهر أليلا

زياد : أليلى تُرى هذى ؟

قيس : أجل . . بنتُ عامر

وتلك التى باهت بفتنتها الطلا

تحكّم فى قلبى هواها ولستُ من

يقولون بعد الحبّ : قد ملّ أو سلا

زياد : ألا بارك اللهُ الصبابةَ والهوى !

قيس : فليس سوى طعم الصبابة قد حلا

« يقترب من زياد هامساً »

تعال زيادُ اليوم أُنشدك فى الهوى

قصيداً سيبقى فى القرون مرتّلا

زياد : ألا غنِّنِي قيسُ فكُلِّي مسامعٌ

وصفها لنا إن شئتَ واشرحْ لنا الوجْدَا

قيس : تَعشَّقْتُ منها دَلَّها وحياءها

فكم أبطنت وصلاً وكم أظهرتْ صدًّا !

تَزيدُ إذا قرَّبتُ منها تباعداً

لتزدادَ فى قلبى شرارتُها وقدا

فدَعْها أيا قلبى فكم باتَ حُبُّها

يُجرِّعنِي صاباً فأحسبُهُ شهدا !

رضيتُ بما ترضاه فى دولة الهوى

وهل أنا إلا مَنْ غدوْتُ لها عبدا ؟

لقيتُ بها ما كنتُ أُنكِرُ قبلهَا

فقد علَّمتْنِى الشِّعْرَ والحُبَّ والسُّهْدا

هي الحُسْنُ إلا أنه جَلَّ وصفُه

هي السِّحْرُ إلا أنه جاوز الحدَّا

هي النورُ إلا أنَّه جِدُّ مُحْرِق

هي النارُ لكنْ ليس تخبو ولا تَهدا

زياد : بلوتَ الهوى يا قيسُ أنتَ بوصفه
خبيرٌ

قيس : فَقُلْ لى هلْ تُجِيدُ له جِدّاً ؟

زياد : أجَلْ هِجْتَ فى قلبى دفائنَ حُبِّه

فأحييت ميْتاً كان قد أَلِفَ اللحدا

وثارت بقلبى ذكرياتُ غرامِهِ

فعاد الهوى غضًّا وعادتْ له سُعدى!

قيس : إذن أنا أُحْيِي الحُبَّ إنْ كان ميِّتاً

زياد : وترعاهُ طِفْلاً إذ تهزُّ له المَهْدا

فأنتَ بحقٍّ شاعرُ الطهرِ والهوى !

قيس : وأنتَ صدى شعرى وأنتَ الذى يفدى

فدعنى إلى ليلى أسير لعلَّنى

أراها فأشكوها عذابىَ والوَجْدا

« يمضى زياد تاركاً قيساً نحيث الليل والبادية والخيام وهو يتأمل سحر القمر قاصداً خيام العامرية »

قيس : « متأملا البدر »

لستَ يا بدرُ مثلَها ! فهى تسمو عن النَّظَرْ

أَنت للعينِ مَنْظَرٌ وَهْىَ للقلب كالوتَرْ

هى قُدْسٌ مُنَزَّهٌ فوق ما يفهم البَشَرْ

وهى لغزٌ معقَّدٌ حار فيه أولو الفِكَرْ

هى لى اللحن صامتاً صِيغ فى أبدع الصُّوَر

وأنا النـاى ملهماً نَسمةَ الفَجْرِ والسَّحَرْ

إيهِ يا بَدْر نَبِّئِي هل بها هاجت الذِّكَرْ

أم تُراها تشاغلتْ أو حلا دونِيَ السَّمَرْ؟

« يقترب من الخيام فيلق فتيات الحى وفتيانه يتسامرون وبينهم ليلى مطرقة فيحييهم ويجلس منها قريباً يجاذبها الحديث »

قيس : لِمَ الصَّمْتُ ياليلى ! ؟

ليلى : حنانيكَ إنَّ لى

حديثاً بقلبي مَا وعاه لسانى

قيس : هو الحُبُّ ياليلى بعينيكِ ناطقٌ

يُحَدِّثُ فى صَمْتٍ وسِحْرِ بيانِ

ورُبَّ حديث أقصرت عنه أحرفٌ

وضاقتْ به بين اللغات مَعَان

وذاك حديثُ الروح للروح فى الهوى

يُتَرجَمُ فى هَمْس من الخفقان !

ليلى : فدتك ابنَ عمّ الروح هل أنت حافظ
عهودى ؟ وراعٍ حرمتى ومكانى ؟

ام أنك ناسٍ إن سعى الدهر بيننا ؟!
« ومن ذا الذى يبقى على الحدثان ؟»

قيس : ألم تعلمى ليــــلاى أنّى موكّلٌ
بحبّكِ مأســــور لديك جنانى ؟

ففى راحتيكِ القلبُ ما شئت فافعلى..!
فما لى بما تقضين فىّ يدانِ ..!

ليلى : إذنْ أنتَ أهلٌ للعهود وللهوى
وأنت عزيزٌ لا تُريدُ هوانى

تبادلنى صَفْوَ الوداد ولم تكن
تُنَمّقُ لى الألفاظَ فى الهيمانِ !

فداؤكَ قَيسُ الروحُ لا القلبُ إنه
تَحرَّقَ من وَجْدٍ ومن خفقان !

قيس : وكيف قضيتِ اليوم ليلاىَ ؟

ليلى : فى جوىً
وبين حنينٍ شفَّنى وَبَرانى
إذا جئتُ أبغى الغزْلَ أنكرتُ مِغزَلى
وَخُيِّلَ لى قيسٌ بكل مكانِ !
وكيف تُرى أنفقتَ يومَكَ ؟

قيس : سَادِراً
أُغَنِّى نشيدَ الحبِّ فى الجَوَلانِ
غدوتُ قُبيلَ الفجرِ ياليْلَ فالهوى
وطولُ الدجى هدا كَيانَ كيانى

أطوّف في البطحاءِ بين ظبائها

عساني بها ألقَى العزاءَ عساني ..!

وكم قد رَنَتْ نحوي فأخطأ سهمُها

وَسَهْمُكِ يا ليلى أصابَ جَناني

ليلى : كلانا أصاب السَّهمُ يا قيسُ قلبَهُ !

قيس : وهل نحنُ إلا للهوى هدفانِ ؟

ودنيا الهوى فيها الشقاءُ سَعَادةٌ

وما عزُّها إلا بليغُ هوانِ !

ليلى : لقد قَفَلَ السُّمَّارُ فالليل مُوهِنٌ

وتلك نجومٌ آذنتْ بزوالِ

قيس : ذهلنا عن الدنيا وقد ضمنا الدُّجى

غريقي بحار منْ هوًى وخيالِ

ليلى : نَعِمتَ مَساءً قيس

قيس : ليلاى ! أنْعِمى

مساءً وعشتِ الدّهْرَ ناعمةَ البالِ

يفترقان — ليلى تدخل خباءها وقيس إلى نفسه :

تحكّمْتِ يا ليلى بقلبى ومُهجتى

فحُبّكِ يا ليلى مليكى وآمرى

تَغَيّبتِ عن عينى وصرتِ بخاطرى

فطيفكِ هذا فى الظلام مُسامرى

أراه تبدّى رائعاً يبعث الهوى

وها هو منى بَيْنَ سَمْعى وناظرى

كأنى به نادى بإسْمى وإننى

أُلَبّيهِ حتى من وراءِ المقابر

« يسير قيس ويبدو له طيف ليلى يناجيه »

الطيف : أيا قيسُ هل أنت المحبُّ المتيّم

بليلى وهل ترعى هواها وتُقسم ؟

قيس : سَلى القَلْبَ يا ليلى فقلبى يُتَرجِمُ
ولا تسألى ثغرى فثغرىَ أعجَمُ

وإلا انظرى فى مقلةِ العينِ تقرئى
سطورَ الهوى فالعينُ للحب مُعْجَمُ

حنانيكِ ما هذا التجاهُلُ والجفا ؟
أظُلْمٌ وجَوْرٌ؟ أم هوىً وتكتُّمُ ؟

فإنْ كان جوراً حبذا الجَوْرُ منكُمُ
وإنْ كان حُبّاً فهو خيرٌ وأسلَمُ

الطيف : وهل قَبْلَ ليلى قد علقْتَ بغادةٍ
تُريك ابتسامَ الصبْح إذ تَتَبَسَّمُ ؟

قيس : أُحبُّكُمُ قلبى ولم يهْوَ غيرَكُمْ
فأنتم له فى الحُبّ مرقىً وسُلم

سيبقى على عهد الهوى خيرَ قائمٍ
فدونَ هواكُمْ كلُّ شيء محرَّم !

الطيف : وما أمرُ هذا الحبِّ ؟ كيف تُحِسُّه
تحدَّثْ .. أَبِنْ إذْ أنتَ بالحبِّ أعلمُ ..

قيس : هو الحبُّ نورٌ كم به العيشُ قد صفا
وكم بان لى قبل الهوى وهو مُعْتِمُ
وصِرْتُ إلى دنيا من السِّحْر بعد ما
غدا فى سماء الحبِّ قلبى يحُوِّم
وهاب الكرى جفنى وهبتُ مزاره
فلا أنا أدعوه ولا هو يُقْدِم !
وَمَنْ بات فى أمرٍ عظيمٍ فما الذى
يُحَوِّله عنه ؟ أليلٌ وأنجُمٌ .. ؟

الطيف : هـواك إذن يا قيسُ نورٌ وجَنَّةٌ
وطُهْرٌ وسُهْدٌ فهو حبٌّ معظَّم

قيس : على القلبِ منقوشٌ بنقش مُخَلَّدِ

فبالظهر مخطوطٌ وبالمِسْكِ يُختَمُ

ومنه سُقيتُ الشعر عذباً مرقرقاً

فإن الهوى يُملى وروحي تترْجمُ

ولولاه لم أدرِ القصيدَ ونظْمَه

وهل غيرُ هذا القلبِ يُمّلى وأنظم ؟!

« يختفي قيس ويتلاشى الطيف » .

ستار

الفصل الثالث

المشهد الأول

« ورد ، سيّد ثقفى ، فى مجلس لهو يصغى إلى مغن يترنم بهذا الشعر » :

المُغَنِّى : عجبتُ للبــــدْر تحكيهِ ويحكيها

ببسمةٍ جلَّ فيهَا لطف مُهديها !

تَباركَ اللهُ ! كم أحيتْ ببسمتهَا

روحاً تُعذِّبُها حبّا فتُرديهــــا

وكم أعادَتْ بقَلْبِى خفقةً سكنَتْ

حيناً وأجرتْ دمائى فى مجاريها !

ضدّان فيها استقاما : غَضْبَةٌ ورضاً

وَقد عدمتْ لهذى الحـال تشبيهاً !

فَرُحتُ ألعنها حينـــاً فأغْضبها

وَعُدْت أُحْمَدُهَا حيناً فَأُرْضيها !

ورد : « وقد فتنه الشعر »

بعثتَ الهوَى فى القَلْب إذ كانَ ميِّتاً

فَأُذنَى كانتْ فتْنَـــةً لِجنانِى

سبيتُ بِمنْ غَنَّيتَ فيهَا وانَّنِى

لأوَّلُ منْ كادَتْ له أُذنانِ !

فَزِدْنِى بها علمًا وزِدْنِى صبابةً

عَسَانِى أراهَا مرةً وتَرانِى !

المغـــنى : « منطلقاً يتغنى بقصيدة أخرى من قصائد قيس بليلى »

رَمتْنى بتقطيعِ العُهودِ إذا نأت

وَتَعْلَمُ أنِّى خيرُ من يحفَظُ العَهْدَا

وقالَتْ كثيرٌ من أحبُّوا وبَدَّلُوا

وكانوا قُبيلَ البُعد قدأنكروا البُعْدَا

فقلتُ أراكِ اليوم تَبغين مَقْتلى !

ولكنْ بشكلٍ جاوَزَ العُرْفَ والحدَّا

ألا فاقتلى إنْ شئْتِ ليسَ مُحَرَّماً

بدنيا الْهوَى أن يقْتُلَ السيِّدُ العبدا

فهذا دمى قد طُلَّ من قبلُ بعضُهُ

فداءً لِمَنْ بالمالِ والأهلِ لا تُفْدَى !

وما ضَرَّ أن لو يسفك اليومَ كُلُّه ؟

وإنَّ جليلَ الأمرِ يُنْهَى إذا يُبْدا !

حــــلالٌ لليـلى ما تراه .. فإنَّنى

سئمتُ حياتى فالمماتُ إذنْ أجدى !

ورد : ألا سَمِّ لى هذى التى جلَّ وصفُها

ومن أىِّ قومٍ بلْ بأىِّ مكان ؟

المُغَنِّى : يُسَمُّونَهَا لَيْلَى . . .

ورد : تباركتَ يا اسْمهَا !

المغنى : ومن عامرٍ تحتَلُّ خيرَ مكانِ !

ورد : ومن قالَ فيها الشِّعْرَ ؟

المغنى : قيسُ ابنُ عَمِّها . .

ورد : وهَلْ هىَ تَهْوَاه ؟

المغنى : أجلْ . . وتُعانِى ؟

ورد : نفضتُ يدى منها فإما مُصَبَّرٌ

وَإمَّا قتيلُ الشوقِ والهَيَمانِ

وها أنا ذا أحيا لأشْقَى بحُبِّهَا

وأكرعَ بعد العِزِّ كأْس هوانِ

ستار

المشهد الثانى

« المهـــدى وزوجه يتحدثان ، بعـــد افتضاح ليلى بقيس وهدر دمه ، فى خيمتهـا » .

المهدى « منزجراً غاضباً » :

أَلا قاتَلَ اللهُ الغـرَامَ وأهْـــلَهُ

وقَاتَلَ قيساً فَهْـوَ أصلُ شَقَـائِى

فُضِحْنَا بِهِ فى كل أَرْضٍ فذى ابنَتى

يُغَـنِّى بِهـــا فى مَجلس وحداء

وَطأطأتُ رأْسى يا رُقَىَّ مهـــانَةً

كأنَّ أراجيفَ اللِّئَامِ إزائى !

رُقَيَّـــة « فى هدوء وزين » :

أَجَلْ قد تجنَّى قيس أوجُنَّ فى الهوى

ولم يولِ عَرْفَ البيدِ بعضَ ولاءِ

وأوحى له الحبُّ القصائد فاغتدى
يغنّى بها فى بكرة ومساء

فكانت لنا بين القبائل سبة
أراها ستبقى رغم كلّ فناء . . !

المهدى: رُقّى .. أجل .. تبقى على الدهر حيّة
ليحيا بها عارى وميتُ بلائى

فياويلهُ من غضبة قد صببتها
عليه ويجزى النذل شرّ جزاء !

فقد حلّل السلطانُ قتلَ مضلّلٍ
يشبّب بالحرّات دون حياء

وليس له من شافع أو مقرّب
فقد خاب فيه خيرة الشفعاء !

« يدخل خادمه »

الخادم : أجِبْ سيّدى قوماً كراماً ببابكمْ
وقوفٌ

المهـــدى : ومَنْ همُ؟

الخـــادم : منْ وُجوه ثقيف !

المهدى : تبسّمْ لهمْ واكْرِمْ عزيزَ جنابهمْ
ودونَكَ فانْحَرْ ما تشا لضيوفى

(يخرج الخادم وتذهب رقيّة لإعداد القرى تاركة المهدى يتأهب للقائهم)
(ورد فى سادة من ثقيف يدخل محيياً المهـــدى)

ورد : سلاماً كريم القوم

المهـــدى : أهلاً ومَرْحباً
بكُمْ يا أعزّ النّاس رَهْطَ ثقيف
نزلْتمْ بنا سهْلاً وشرُّفَ دارُنَا

ورد : ونلنا اعتزازاً من أعزّ شريف

« يقبل الخادم يحمل القرى فيقدمه للضيوف »

المهـدى : ألا أكرمونَا وَأْكُلُوا منْ طعامنَا

« يأكل ورد ورهطه »

ورد : أكلْنَـــا فأكْرِمْنَا بَردِّ سُؤَالِ

المهـدى : تَفَضَّلْ وَمُرْ

ورد : لاَأمْرَ إِلَّا لآمِرٍ

أتيناه سُؤّالًا .. !

المهـدى : فأكْرِم بِسُؤّالى

أحدالضيوف: أتينَـاكَ نَبغى حُرَّةً لابنِ حُرَّةٍ

كريمٍ يفوقالناسَ فىالأصْلِوَالمَالِ

فَمنَّ على ورد بليـــلَى وإن يكُنْ

غريباً وَلا يُنْمى إلى العمِّ والخـال

المهـدى : عَرَفْنَاَ فتا كُمْ فهوَ نُبلٌ وعِفـةٌ

ومنذايُدانىالوَرْدَ فىشَرَفِ الحالِ؟

ولكنني شيخٌ أُداري بُنَيَّتي
وأغمرها في رقتي ودلالي
لها الحكم في تزويجها فهي حرةٌ
وإني لأخشى أن يضلَّ ضلالي
وإني لورد عند ليلى لمادحٌ
ومبلغكم عنها الإجابة في الحالِ

« يتأهب القوم للقيام »

ورد : وداعاً أبا ليلى وإني لمقبلٌ
غداة غدٍ أبغي جواب سؤالي !

المهدي : يشيعك المولى ويوليك عطفه
ويبقيك طول الدهر في راحة البالِ

« يشيعهم إلى خارج الخيمة ويعود »

« تدخل رقية »

المهدي : لقد جاءني وردٌ لليلاي خاطباً ؟

رُقَيَّة : وقيس ؟

المهدى : دَعينا..!

رقية : وَالصَّبابَة . . ؟ وَالْقُرْبَى ؟

حنانيكَ لا تظلمْ بِريئين إنَّنى
لَأخْشَى عَلَى الظُّلَّام فاجعةَ العُقْبَى..!
فإنّى أرى لَيْلَى بقيسٍ شَغُوفَةً
وقيساً بليلى جُنَّ من شَغَفٍ حبًّا
فليستْ لَهَا تحلو الحَياةُ بغيرِهِ
وَلَيْسَتْ له فانصِفْهما تَتَّقِ الرَّبَّا!

« تخرج رقية »

« يدخل خادمه »

الخادم : أتاكَ أميرٌ من أُمَيَّةَ فاضلٌ
وفى ظِلِّهِ قَيْسٌ عزيزٌ مُكَرَّمُ

« يخرج المهدى من خيمته ليستقبل الأمير »

الأمير : سَلاماً أبا ليْلَى

المهدى : وَأهْــلاً ومرْحَبا

بسيِّدِ ساداتٍ يزورُ فينْعمُ

الأمير : أتينَاكَ نَبْغِى حاجةً لو قَضَيْتَها !

المهدى : تَفَضَّلْ ومرْ واحْكم فأنتَ المُحكَّمُ

الأمير : أتينا بقيسٍ شَاعرُ الطُّهْرِ والهوَى

وإذ جاءنا مِن ظُلْمِكُمْ يتظَلَّمُ

هَدَرتُم دَمَ العُشّاقِ إذكابدُوا الهوَى

فَحرَّمَ حِلٌّ واستُحِلَّ محرَّمُ . !

وَمَنْ قال إنَّ الحبَّ جُرْمٌ وَضَلَّةٌ

وكيفَ بهِ قد حَقَّ أن يهْدَرَ الدَّمُ ؟

المهدى : غَفَرْنَا لقيسٍ ما جَنَاه . . !

الأمير : وَمَا جنَى ؟ !

المهدى : قصيدٌ بليلى سائرٌ يتكلّمُ

فضحْتنا به واللهِ فى كلِّ بقعةٍ

فكلُّ لسانٍ باسْمِها يترنّمُ !

فلا شعرُه يفْنَى ولا البيدُ تنْطوى!

ولكنْ أراهُ الدهرَ يبقى ويعظمُ !

الأمير : رويداً أبا ليلى ولا تكُ ضيِّقاً

بأتفهِ أمرٍ

المهدى : إنّما هوَ أعظمُ !

الأمير : وهبْهُ عظيماً ولتكُنْ خيرَ عاذرٍ

المهدى : عفوْنا وإنّ العفوَ خيرٌ وأسلمُ

الأمير : فأكرمْ إذاً قيساً وأكرمْ مجيئنا

فمثلُكَ من يعفو ومنْ يتكرّمُ !

المهدى : أليلَى أردتمْ . . ؟

الأمير : تلك سُؤْلى وحاجَتى

المهدى : إذن فَلْتَجِىءْ فهى المُجيب المُحكَّمُ

(ينادى ليلى)

تَعالَىْ هُنَا ليلى أمير وخاطِبٌ . .

ليلى (مرحبة) وأهلاً بِمن ساروا إلينا فأكرَمُوا

الأمير : طلعتِ علينا بالجمال وبالحجى

فخلنا كأنَّ الدار تزهو وتبسمُ

وجئناكِ خُطَّاباً لقيس فحكِّمى

حِجاكِ !

قيس (إلى نفسه) أليلَى مَنْ تُشير وتحكُمُ ؟

ليلى — (تنظر إلى قيس ثم إلى أبيها فتندفع قائلة)

سألتَ محالا سيّدى لستُ بالتى

تجور على الشيخ الحنون وتَظلمُ



سألتُ محمداً أسيّدي لستُ بالتي تجورُ على الشيخ الحنونِ وتظلمُ ..!

فَسَلْ قيسَ عن أشعَاره تَلْقَ أنَّهُ

ظَلومٌ ولكنْ جاءكم يتظَلَّمُ..!

فقد جَرَّ عارِي واستَحَلَّ فضيحَتي

وَلَطَّخَ عِرْضي وَهْوَ أنقَى وأسْلَمُ

أُنكِّسُ راسي إذْ أسير وإنَّ لي

فؤاداً بهِ نارُ الصَّبَابَةِ تُضْرم

كتمتُ هوى قَيسٍ وأفشاه شِعْرُهُ

وَمَا خَيْرُ قلبٍ لا يصونُ ويكْتُمُ؟!

فباسمي يُغَنَّى اليوم فى كلِّ مجلس !!

وأشعار قيسٍ بالهوى تَتَرَنَّمُ !

قيس : إذنْ قد ظَلَمْتِ القلبَ . . !

ليلى : ما القَلْبُ والهَوَى؟

فَعِرْضى أيا قيسُ أجَلُّ وَأَعْظَمُ

فَسِرْ فى أمانِ الله وَاسْعَدْ بِغَيْرِنَا

فهذا قضاءُ اللهِ واللهُ أحْكَمُ

« تلتفت إلى أبيهـــا »

أجِبْ يا أبِى وَرْداً إذَا عادَ سائلاً

لعلَّ بهِ عارى يُغَطَّى وَيُكْتَمُ !

« يتهيأ الأمير للقيـــام »

الأمير — إلى ليـــلى —

رددتِ سُؤَالى إذْ ظَلمتِ مُتَيَّماً

قيس : وما كُنْتُ أدْرِى أنَّ حقِّىَ يُهْضَمُ

الأمـير : وبالَغْتِ فى خَلْقِ الذُّنُوبِ !

قيس : وهَـــلْ تُرَى

قَضَى اللهُ أن يَشْقَى المُحِبُّ المُتَيَّمُ ؟

نعمت أيا ليـــلَى بوَرْدِ !

ليلى : (بأسف بالغ) ومن يَكُنْ

شَقِيًّا فهَلْ بعْدَ الشَّقَاوة يَنْعَمُ ؟

الأمير (مودعاً أباها)

سَلاَماً أبا ليـــلى

المهدى : سَلاَماً أميرَنَا

الأمير (منذراً ليـلى)

ويا ليلَ دَارِى القلبَ إنْ حَانَ مَنْدَمُ !

ستار

الفصل الرابع

المشهد الأول

« قيس على مقربة من التوباد في ثياب ممزقة يناجي طيف ليلى ، وهو يلوح له » .

قيس : عهدتُكِ مثل الشمس تسمو تباعداً

ويقرب منا ضَوْؤها ويداني

فهلَّا عَكستِ الأمر رفقاً بخافقٍ

رماه الهوى بالشوق والهيَمَان ؟

وأرجعتِ لى روحاً فُجِعْتُ بفقدها

وقلباً عَليلاً ذاب بالخَفقَان ؟

فلا تنفرى غَضْبَى ولا تتجاهلى

بقولكِ مالى بالشِّفاءِ يدان . . !

فها موضعُ السّهْمِ الذى تعرفينه

يسيل دماً قد لجّ بالفَوَرانِ

فياويح لى ممّا يكيلُ لىَ الهوى !

وياويح لى ممّا يكيلُ زمانى

أُجارُ من الرّمْضاءِ بالنّارِ مرّةً

وأطلبُ عَوْنَ الماء فى الطوفان !

الطيف : « وهو يلوح له » .

قضى الله أن يَشْقىَ كلانا بحبّهِ

وأن يُبْعِدَ الدارين بَعْدَ تدانِ

« يقترب الطيف من قيس » .

وما لكَ تحيا والظباءَ بقفرة

وعفتَ لذيذَ العيش مُنْذُ زمانِ ؟

قيس : « فى انفعال » .

أتجنين ياليلاى شرّ جناية ؟

الطيف : وقيس على قلبِ الحبيبة جانِ !

« يختفى الطيف تاركاً قيساً فى ذهوله ، ثم يثوب إلى عقله فاذا به قرب التوباد يتأمله مردداً » .

لـئن فرَّقتْنا هـذه الدارُ ضَـلَّةً

لَسوفَ تُلاقينا الخلودُ وحُورُها

وإن لم نَذُقْ فى أول العيشِ راحةً

فبعد ابتئاسِ الرُّوحِ كانَ سرورُها

ومن يغترْ بالـكأس عند ارتشافها

ستُـكرِعهُ صـابَ الحياة أخيرُها

« يلوح له الطيف ثانية فيقترب منه فى هيئة ضارع » .

أما والذى ألقى هواكِ بخَـافقى

وأسعـرَ ناراً فى الفؤاد سعيرُها

سأفنى بحُبٍّ بالفنـــاءِ خـلودُه

وهل تُحْرَقُ الأعواد لولا عبيرُها ؟

« تعتريه حال من الذهول فينكب على وجهه » .

« يقدم من بعيد الملوح وسمراء يفتشان عنه فيعثران عليه منكباً على الرمال » .

الملوح : بُنيَّ أَفِقْ ..! وامنح فؤادَكَ راحَةً

ورفقاً بشيخٍ مُتْعَبِ الروح والفِكْرِ

قيس : (يفيق)

« عرضت على قلبي العزاء فقال لى

من الآن فايأس لا أعزَّكَ من صَبْرْ »

« إذا بان من تهوى وأصبح نائياً

فلا شيء أجدى منْ حُلولكَ فى القبر »

سمراء : « تتقدم نحوه ضارعة »

حنانيكَ دَعْ ليلى ! وَدَعْ ذِكر حُبِّها ..!

فليلاكَ من جازتْ وفاءكَ بالغَدْر

وردّتْكَ ردّاً قاسياً إذ خطبتَها
فكانتْ كمن يجزِى على العُرْف بالنُّكْر
ولو كان أدنى الحبِّ خالط روحَها
لما خلّفَتْكَ اليوم فى مَهْمَهٍ قَفْرِ!

قيس : غفرْتُ لها كُلَّ الذنوب وما جنَتْ
يداها وكان العَذْلُ فاتحةَ العُذْرِ
ولا تحسبي أنى لِليلاىَ هاجرٌ
فمثلُ هوى ليلى يُخَلَّدُ للحَشْر
فعودى وكُفِّى عنْ ملامة عاشق
يرى أنّ نُكْرَ الحبِّ ضربٌ من الكفر

الملوح : « يجثو جنبه »

بُنَىَّ دع الأوهام وَارْحَمْ مشيبَنَا
وَرِقَّ لنا من بعد مهزئةِ الدهرِ

وكم قال لى قوم بقيسك جِنَّةٌ
وسِحرٌ ألا تُرقيه من عَبَث السِّحْرِ

وما بك من شيء سوى الغيِّ والهوَى
وذكرى فتاة لم تجرَّ سوى الخُسْر !

سمراء : « تضمه فى ألم »

ألا تتـــقى فىَّ الإلَهَ ولا ترى
نحولى وضِيقِى بالْحَياة وبالعُمْرِ ؟

هجرتُ لذيذَ العيش بَعْدَكَ والأسى
أناخ على قلبى وضَيَّقَ لى صدرى !

أُدارِى فضولَ الناس يا قَيْسُ مَرَّةً
وأُخرى أُدارِى الدمْعَ مُنْهمِلاً يجرى

الملوح : « ممسكا بيد قيس »

ألا حَجَّـــةً للبيت يا قيْسُ إنه
لَخيرُ مُغِيث من جنون ومن سِحْرِ

لعلّكَ عن ليلى تلاقى تصبُّراً
وتُنْقذَ من نار الوساوس والفكرِ
وتفزَعُ للرحمن تَشْكو له الهوى
وتسأله عوناً على النَّحْس والشّر

قيس : « معرضاً عنها »

ألا فاعزبا عنى فلسْتُ بعائدٍ
إلى الحيِّ إلا جثةً فاحْفُرا قبرى
ولا تحسبا أنّى لليلاى هاجر
فمثل هوى ليلَى ليسمو عن الهجْر
فعودا وكفّا عن ملامةِ عاشقٍ
يَرى أنَّ نكر الحبّ ضربٌ من الكفر!

ستار

المشهد الثانى

« يقبل من أقصى المسرح راكبان لايلبثان أن يقتربا فاذا هما زياد وصاحب له » .

زياد : وماذا ترى فى أمرِ قيس ؟ !

الصديق : ومَا بهِ ؟

زياد : لقدْ حجَّ يرجو البُرْءَ من رحمةِ الربِّ
ولكنّه لمّا أطافَ ببيتهِ
ومسّتْ يداهُ السِّتْرَ جَار على القلْبِ !

الصديق : « فى دهشة »
وكيْفَ وماذا قال ؟ !

زياد : زِدْنِى بها جوىً
ولا تَشْفِنى يارَبِّ من سَورةِ الحبِّ

ويا حبذا موْتٌ بليلى وحبها

إذا كان يُقضى أنْ يكونَ بها نحبى

الصديق : وكيف مَضَى للبيت ؟

زياد : فى ظـــل أهْـــلهِ

وفى ظلّ جمْعٍ من أدانٍ ومن صَحْبِ

فقد كان قبل الحجِّ فى القَفْرِ هائماً

يحجُّ إلى التوبادِ مُخْتَبَلَ اللُّبِّ

الصديق : وأين تُراهُ الآنَ ؟

زياد : قد هامَ ثانياً

فقد زاد هذا الحَجُّ كَرْباً على كرب

يهيم فلا يدرى أفى الشام رِجْلُه ؟

أو الرِّجْلُ فى نَجْد وفى ساحها الرَّحْبِ

يُسائلُ عنها الرَّكْبَ فى كلِّ بقعة
ويحيا عَلَى ماءِ المَهَامِهِ والعشبِ
ويألف وَحْشَ القَفْرِ إذ صارَ مِثْلَهَا
ويعبثُ كالأطفالِ بالرمل والتُّرْبِ

الصديق : جزى اللهُ ليلى! بل جزى اللهُ أهلَهَا
وَرَبُّكَ عَدْلٌ يأخذُ الذَّنْبَ بالذَّنْبِ
فقد أوردتْه العيش رَنْقاً مُكَدَّراً
وتأملُ أن تُسْقَى من المَوْرِدِ العذْبِ؟

زياد : ألا إنَّ هــذا الربَّ حلْوٌ جزاؤه
وَمَنْ يرحمُ الظُّلَّامَ من غَضَبِ الرَّبِّ!
فقد أصبحتْ ليلى تضيقُ بعيشها
وكيفَ يُدارَى القلبُ إنْ ضاقَ بالحُبِّ؟

(يمضيان إلى الحى)

(يقبل شبح من بعيد قاصداً ناحية التوباد ويتبين منه أخيراً شخص قيس فى ثياب ممزقة وجسم هزيل يردد هذه الأبيات)

أَأُمْنَعُ لقياها ويُعطى وصالَها

وَيَحْظَى بها من ليس يدرى جَمَالَها

وماذاك إلَّا أنَّ بالحبّ حالةً

تُنَاقِضُ حالى إذْ تُشَابِهُ حالَها

تُبَاعِدُ ما بينى وبينَ فؤادِها

وَتَخْلُقُ من سَهْلِ الأمورِ مُحالَها

وَتُقْسِمُ إلا أن تعيشَ لِغيْرِنا

وَنُقْسِمُ إلا أن نعيشَ سدىً لها !

هجرتُ المنى يأساً وهل لى من المنى

سوى أننى لا أستطيعُ وصالَها ؟

وعشْتُ بدنيا اليأسِ إذ خلْتُ أنها

هى الشمسُ يُغْريك السَّنَا أن تنالَها

فمن لى من الدهر الضّنينِ بلحظة

أُعاتبُ فيها من علقتُ حبالَها !

(يقترب قيس من التوباد ويجثو قريباً منه يناجيه)

أقمنا علَى صَفْو الغرام وكَدْرِهِ

وذبنا على بُعْدِ الوصال وهَجْرِهِ

وَصُنَّا الهوَى من بعد ما كان بيننا

تجىءُ بذنب ثم تأتى بعُذره

فلا خَيْرَ فى قلب يرقُّ لمنْ قسَا

ويبقى على يُسْر الغَرام وعسره

ويحسبُ مُرَّ الحبّ كان حلاوة

ويرضى بإنصاف الغرام وجَوْره

(فى صوت مختنق)

وما إن يرى إلا المماتَ بحُبّها

حلالاً وإن كانت تعيشُ لغيره !

(يجهش باكياً منكباً على الرمال ثم يفيق منشداً فى نشيج)

ولم أرَ مِثلى فى الغرام مُعَذَّباً
ويقنعُ من صَفْو الحياة بنْزرِهِ

نظمتُ شبابى فى هواها قصيدةً
ومن فى الهوى يَفْدى الحبيب بعمره؟

وها جبل التوباد يتلو غَرَامنا
فقد فاضَ نبعُ الحبّ من قلب صخره

وإنى إذا مَا متُّ فالشِّعْر خالدٌ
يرنُّ ويُحيِ الذكْرُ منى بذكره

وما خَلَّد الإنسانِ إلا قصيده
وما ذاق معنى العيش إلَّا بقبره !

(لحظة صمت يندفع بعدها قيس محدثاً نفسه)

ترى أين ليلى أم ترى أين دارُها ؟
فقد أحرقت قلبى نواها ونَارُها !

أتذكر عَهْدَ الحبّ ليلى أم انها

تناست فتًى قد شبَّ فيه أُوارُها ؟

فداءٌ لِلَيلى روحُ قيسٍ وإنْ سلَتْ

وما بعد هذا الحُبِّ إلا دمارها !

شقيتُ بليـــلى إذ تجنّى فؤادُها

وَحرَّمَ حتى قربُها وجوارُها ! !

(يعصف به الوجد وتعتريه حال من الذهول يهب بعدها قائلا كمن يخاطب طيفاً)

« تزيدينَ هجراً كلما ازددْتُ لوعة »

ولم ترحمى ضَعْفَ الفؤاد المُشَرَّد

« متى ألحق العيش الذى فاتَ آنفاً

إذا كان يومى فيك أحْسَنَ من غدى »

فهل لى ذنوب فى هواك اقترَفْتُها ؟

فديتك إن كانتْ فما ذاكَ فى يدى !

لحى اللهُ قلباً للخَؤونة مخلصاً

ولم يُثْنهِ عنها لسانُ المُفَنِّدِ

لقد لامه فيها الصحاب فَخيبوا

وقال لهم إن زدتم اللومَ أزْدَد

فيا قلب صدِّقْ ما يقول عواذلى

ودع حُبَّ من ليست ترقُّ وتعتدى

عهدتُ بها خلقاً رَديئاً يشينها

وليس بشينُ المرء كالخُلُقِ الرَّدِى

هى الغَدْرُ إن جادتْ بوعد وإننى

أنا البِرُّ والإنجاز إنْ حان موعدى

(يدخل فى النزع الأخير . . وفى صوت فيه حشرجة الموت يندفع قائلا)

لُيحزننى أَنْ أُنْزَعَ الكأس صافياً

لِمنْ حَطَمتْ كأسَ الغرام المُخَلَّدِ

وَمن مَزَجَتْ شهدَ الغَرَامِ بسمِّهِ

ومن عكَّرَتْ لى فى الصَّبَابَة موردى

وَخيبتُ حَتَّى بالحيـــاةِ لأننى

ذهلتُ عن الماضى ويومى وعَن غدى!

(يرتمى على الرمال .. ويردد فى صوت ضعيف)

أُحِسُّ دبيبَ الموتِ بين مفاصلى

فيا ويحَ نفسى كيف حان رجُوعُها!

وما أنا ممن أسعدَتْه حياتُه

فآسى عليها إذ تنـــاءى رَبيعُها

ولكن لى روحاً هُديتُ بنورها

وما إن قلبى فى الحياة تَبيعُها

فكيف يحول الموتُ بَينى وبينهـا

ويجذب من تلك الرياض مريعُها ؟

وكيف ترى تلق النعيّ أترعوى

وتنهلُّ من تلك العيون دموعها ؟

(يجود بروحه)

أيا قيس هى تلق المَمَاتَ بقفرةٍ

شريداً .. وليلى عنك ياقيس فى شُغْلِ؟

رعى اللهُ ليلى ! ما الذى جَرَّ حبُّها

جنوناً وَتَشْرِيداً وَبُعداً عن الأهل

فلا خَيْرَ فى عيْش إذا كنتَ هائماً

تُطَوِّف فى البيداء مُخْتَبَلَ العَقْلِ

ففى الموت رَوْحٌ للفؤاد وراحَةٌ

وَخَيْرُ شفاءٍ منْ سَقامٍ ومن خَبْلِ !!

ستار

الفصل الخامس

المشهد الأول

« قبور بينها قبر قيس — يقدم شبح من بعيد يتبين منه زياد — راوية قيس يقترب من القبر ويجثو جنبه »

زياد : هجعتَ هنا بَعْــد طول السَّهَرْ

وكم ضِقْتَ ذَرْعاً بدنيا البَشَرْ

حياةٌ هى المــوتُ نشقى بها

ونَكرعُ منها الأسى والكَدَرْ

نُؤَمِّلُ فيهــا ويا للمنى .. !

أنبلغُها فى زوايا الحُفَر ؟ !

هى الغىُّ للمــرء .. لكنــه

يجِىءُ إليــه بشتَّى الصُّوَرْ

فكم من جَهُولٍ أطاعَ الهوى
وكَم من عليمٍ وعَى فاعتبرْ

هو الدهر إنْ أنت صارعْتَهُ
فإما انتصرْتَ وإما انتَصَرْ

وإن اللبيبَ الذى لا يَرَى
رزاياه إلاَّ هدىً أو عِبرْ !

شهيدَ الهوى عِشْتَ ترى العهُودَ
وَتُولى الوفاءَ لقلب غَدَرْ !

ورافقتَ فى البيدِ أطْلاءها
وزُودتَ من عشبِها والمَطَرْ

وغنَّيْتَ للحُبِّ حتى سكرتَ
وَغَنَّيْتَ للنجْمِ حتى سَكَرْ

ستخبو النجومُ ويَفْنَى الورى
وشِعْرُكَ باقٍ يُسامى الغِيَرْ

فَنَمْ قيسُ هـذا أوانُ الرُّقادِ

فقد يعذبُ النَّومُ بَعْدَ السَّهَرْ

أتذكرُ إذ كنتَ تشكو الهوى

وتسهرُ حتى الصباحِ الأغَرّْ؟

وإذ كنْتَ تمرحُ غَضَّ الصِّبا

رَخِيَّ الدَّلالِ تُبَاهى القمر ؟

وتمضى لأبياتها بعدَمَا

تُطِلُّ النجومُ فيحلو السَّمَرْ ؟

« يمضى زياد — ويقبل من بعيد الملوح وسمراء »

الملوح : « مقتربا من قبر ابنه »

هو الجسم يفنى ويَبْقى الأثَرْ

وتمضى السنونَ وَتُحيي الذكَرْ

فَيا شاعرَ البيدِ لَيْسَ الفنَـاءُ
مصيرَكَ لكنْ مَصيرَ البَشَرْ
فَمَا أنْتَ إلَّا إلٰهُ الهَوَى
إلٰهُ القصيد إلٰهُ الدُّرَرْ
شَقيتَ بعيشٍ مُنَاهُ السَّرَابُ
وغادرتَ دُنْيَا جَنَاهَا الكَدَرْ

سمراء (جاثية عند القبر)

حنانيكَ قَيْسُ هَجَرْتَ الحياة
وَخَلَّفْتَنِى للضَّنَى والضَّجَرْ
وأسلمتَ روحكَ فى مَهْمَهٍ
ومن يَمْنَعُ الموتَ أنَّى حضر ؟
أمن أجْلِ ليلَى ارْتَضَيْتَ الشقاءَ
لنفسِكَ حتَّى احْتَوَتْكَ الحُفَرْ ؟

فديتَ الفُؤادَ لهَا والصِّبَا

وغنّيتَ فيهَا القصيد الأغرّ

وَنبّهتَ منْ ذكرِهَا خاملاً

فطار منَ الْبَدْوِ نحوَ الحضَر

فأولَتْ على العُرْف نكرانها

فلا باركَ اللهُ قَلْباً غدَرْ !

[يمضى المُلوّح وسمراء]

[يقبل من الجهة الأخري المهدى وخلفه ليلى منكسة الرأس مجللة بالسواد هارعة إلى القبر منكبة عليه ، يقترب المهدى من القبر بخشوع]

المهدى : أيا قَيْسُ هذا الشّيخ قد عاد نادماً

يُجَرِّرُ أذيالَ الأسَى والتّألم

فغفراً لهُ من بعد ماَ جَرَّ حمقُه

جنوناً وتشريداً لِأطْهَرِ مُغْرَمِ

أتيتُكَ أبْغى العَفْوَ فى زىِّ مُجْرِمٍ
أثيمٍ يَعضُّ الكفَّ من بَعْدِ مَنْدمِ
فَها قد صحوتُ اليومَ منْ بعد سكرَةٍ
فأدركتُ أنَّ الذَّنْبَ ذَنْبي وَمَأْثمى
وها هى ذى ليلى أتَتْكَ سقيمَةً
فبعــدك لم تَسْعَدْ ولم تَتَنَعَّمِ
فَلا الزوجُ يُسْليها ولا الأهلُ والغنَى
وأنَّى لَها وَالدَّاءُ فى القلْبِ والدَّمِ ؟!

[يلتفت إلى ليلى فيراها منكبة على القبر والهة]

أيا لَيْلَ داوِى القلْبَ واسى جراحَهُ

ليلى [تفيق] وهل بعْدَ قيسٍ منْ دَواءٍ وَمَرْهَمِ
حنانيكَ خَلِّ الدمْعَ يَنْهَلُّ جارياً
فَيا ربَّ دَمْعٍ صَامتٍ مُتَكَلِّمِ !

« يذهب المهدى . ليلى تناجى القبر باكية ضارعة »

قيسُ ليلاكَ فى سَقَمْ قد برى قلبَها الألمْ

لم تخُنْ عَهْدَ حُبِّها لا وذا القلبُ لم يَنَمْ

زُوِّجتْ لا بحكمِها وهى قد كانت الحَكَمْ !

من فتىً صادقِ الهوى طاهرِ الخُلْقِ والشيم

لم تبادله حبَّه لم تُشَاركه فى النعيم

حطمت كأسَ عيشِه وسقتْ روحَهُ الحَمَمْ

وغدتْ طولَ عُمْرِها تقرعُ السنَّ من نَدَمْ !

ويحها البيدُ قد جَنَتْ والتقاليدُ والحُرُمْ

مارعتْ حُرْمةَ الهوى فاغتدتْ شَرَّ مَنْ ظَلَمْ !

« تنكب على القبر »

يستابر

المشهد الأخير

المسرح مظلم لا يشف إلا عن قبور بينها قبر قيس وإلى جانبه قبر ليلى ومن بعيد يطل جبل التوباد .

« يسمع صوت نائحة خفى »

القرار : ها هنا قيس وليلى في ثرى نَجْد أقاما

نَسَمَا من سَهْل نجد ورَوابيها الغَراما

وسقت نجدٌ فتاها شِعْرَهَا السامى مقاما

جَلَّ هذا الشِّعْرُ أن يُحْسَبَ نطقاً أو كلاما

لم يكن إلا بقايا القلب أضحتْ تترامى

القرار : ها هنا قيس وليْلَى في ثرى نجْد أقاما

رعيا الأغنامَ غضين كزَهْراتِ الخُزامى

وعلى التَّوْباد مسَّ الحبُّ قلبين فهاما

أقسمت لَيْلَى على التوباد أن ترعى الذماما

وعلى قرب من التوباد قد ناما دواما

القرار : ها هنا قيس وليلى في ثرى نجد أقاما

شهد الله بأن ماتا شهيدين هياما

شهد الحب بأن كانا عفيفين غراما

شهد التوباد أن كانا رفيقين كلاما

وادعت نجد بأن كان الهوى إثماً حراما

القرار : ها هنا قيس وليلى في ثرى نجد أقاما

كم أبت روحهما أن تقبل الأرض مقاما

فانثنت ترقى إلى الخلد تشكاها الأناما

تستقى ورد الهوى صفواً لكى تطفى الأواما

وغدت في الخلد تشدو لحن حب يتسامى

ها هنا قيس وليلى في ربى الخلد أقاما

(يلوح قيس وليلى في ثياب خضر ويختفيان)

ستار الختام

مؤسسة فن الطباعة
روزين شلهوب
١ شارع الانتصار - شبرا مصر - تليفون ٥٥٤١٣٥